مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٢/٢٠١١ هـ.ق، العدد ١٨ (٤) ٢١-٣٦

دراسة مقارنة لمناظرات السيف و القلم بين الأدبين العربي و الفارسي (اليعقوبي الطوسي و ابن نباتةالمصري نموذجاً)

غلامحسين غلامحسين زاده[١]، كبري روشنفكر[٢]، ابراهيم خدايار[٣]، نعيمه حسوكي[٤]

تاريخ الوصول: ١٤٣١/٩/١٠ تاريخ القبول: ١٤٣١/١٢/٦

حازت المناظرات على أهمية كبيرة في الأدبين العربي و الفارسي لما مثلته من رؤي و عبرت عنه من رموز و دلالات مختلفة.

و نظراً لأهمية هذاالنوع الأدبي، سنسلّط الضوء في هذه المقالة على جانب بسيط من هذا النوع من المناظرات النثرية الخيالية، و هو النوع الذي تناول فيه الأدباء السيف و القلم باعتبارهما رمزين لفئتين مختلفين، فئة الكتاب و أصحاب الأقلام و ما يطمحون إليه من مكانة إلى جانب أصحاب القوة.

كما سنعرض لهذا النوع، نشأته و تطوره في الأدبين، و نفصل الحديث عنه في محاولة جادة و هادفة لكشف اللثام عن أوجه التشابه و الإختلاف بينهما في مناظرتي (السيف و القلم) النثريتين ليعقوبي الطوسي و ابن نباتة المصري لنتوصل إلى أن فن المناظرات ميراث اسلامي مشترك عنيت به الأمم و كانت انعكاساً و تلبية لحاجات اجتماعية و سياسية حيث عبرت عن رؤى و أفكار كتّابها و لبّت احتياجات مجتمعاتهم.

الكلمات الرئيسية: مناظرات السيف و القلم، الأدب العربي، الأدب الفارسي، يعقوبي الطوسي، ابن نباتة المصري.

١. عضو هيئة تدريس بجامعة تربيت مدرس
٢. عضو هيئة تدريس بجامعة تربيت مدرس
٣. عضو هيئة تدريس بجامعة تربيت مدرس
٤. طالبة دكتوراه في جامعة تربيت مدرس قسم اللغة الفارسية

المقدمة

حفلت كتب الأدب و اللغة و التاريخ بالنصوص التي تدل على بلوغ المناظرة مكانة رفيعة بين فنون الأدب المختلفة، و على الرغم من ذلك لا نجد من الأدباء و المؤرخين من يفرد لها بحثاً خاصاً، و إنما دارت البحوث حول القصة و المسرحية و الخطبة و الرسالة، و الحقيقة أن المناظرة فن أدبي مستقل له سماته و أهدافه و خصائصه.

١- تعاريف

جاء في لسان العرب «المناظرة أن تناظر أخاك في أمر، إذا نظرتما فيه معاً كيف تأتيانه و هو مجاز، و المناظرة المباحثة و المباراة في النظر و استحضار كل ما يراه ببصيرته» (ابن منظور، مادة نظر، بلا تا).

و ذكر صاحب المصباح المنير المناظرة بمعنى المجادلة و هذا ما أشارت إليه المعاجم الفارسية التي ذكرت معنى المناظرة بمعنى المجادلة و البحث و الحوار حول أمر ما (انظر: دهخدا، ماده نظر و داد، ١٣٨٥، ص٤٥٠). هذا من الناحية اللغوية أما من حيث المصطلح فقد ذكرت ماردييني أن الجرجاني في كتابه التعريفات قد أشار إلى هذا المصطلح و عرفه كالتالي «المناظرة اصطلاحاً هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب» و هذا ما أكده التهانوي بقوله: «المناظرة علم يعرف به كيفية آداب إثبات المطلوب و نفيه أو نفي دليله مع الخصم» و يذكر مجدي وهبة في تعريفه للمناظرة بأنها تبادل الكلام و الآراء المتعارضة في موضوع ما يثير الجدل، كبعض الموضوعات السياسية أو الأدبية (مجدي وهبة، ١٩٧٩). إذن فالمناظرة يجب أن تقوم بين شخصين على الأقل، يسعى كل منهما إلى الدفاع عن وجهة نظره، ليسقط فرضية خصمه بما يملك من أدلة صحيحة و براهين منطقية، بغية الوصول إلى هدف المناظرة في إظهار الحقيقة الموضوعية حصراً و ليس الحقيقة النسبية التي يعتقد كل من الخصمين امتلاكها (حسين الصديق، ٢٠٠٠، ص٦١).

٢- أهمية المناظرة و شروطها و آدابها

الحقيقة أن هذا الفن قد حاز اهتماما كبيراً في علم المنطق لاسيما أنه يثير تساؤلات و جدالات قائمة بين طرفين أو عدة أطراف، و لذلك نجد كتب المنطق و علم الكلام تتناول هذا الموضوع بالدراسة و البحث الوافي، فتذكر تعريفه و شروطه و أغراضه، و هذا ما يؤكد أهمية هذا الفن لأن المناظرة فن المنطق و الحوار و المحاكمة العقلية و حسن التدبر، و من هنا نجد التأليفات المتناثرة هنا و هناك تحت هذا العنوان. أما فيما يتعلق بشروط المناظرة فقد ذكر الراغب الأصفهاني ما نقله عن اجتماع متكلمين للمناظرة: «اجتمع متكلمان فقال أحدهما: هل لك في المناظرة، فقال: على شرائط ألا تغضب، و لا تعجب و لا تشغب و لا تحكم، و لا تقبل على غيري و أنا أكلمك، و لا تجعل الدعوى ليلاً، و لا تجوز لنفسك تأويل آية على مذهبك إلا جوزت إلى تأويل مثلها على مذهبي، و على أن تؤثر التصادق و تنقاد للتعارف، و على أن كلاً منا يبني مناظرته على أن الحق ضالته و الرشد غايته» (الراغب الأصفهاني، ١٩٦١، ١/١٠٤)

و هنا نوجز الآداب التي يجب أن يتحلى بها المتناظرون كما أوردها الصديق و هي: لا يجوز للمتناظرين رفع الصوت في أثناء المناظرة كما يجب على المتناظرين قبول الحق و التسليم به في حال ظهوره مع أحد الخصمين و يجب أن يسود الهدوء و النظام و أن يتم تجنب المناظرة للمناظرة، لأن ذلك يؤدي إلى الجدل و الشغب اللذين يفقدان المناظرة اتزانها، و يحرفانها عن هدفها الذي هو الوصول إلى الصواب. (الصديق، ٢٠٠٠، ٩٦-٩٨).

٣- مناظرات السيف و القلم في العربية

يمكن للمتتبع لهذا النوع من المناظرات أن يلاحظ كثرة المناظرات التي كتبت في هذا الميدان، و لربما كان هذا الأمر مرتبطاً إلى حد كبير بجدليه العلاقة القائمة بين السيف بما يمثله من سلطه و القلم و ما يمثله من رأي.

و لربما يعود الفضل في بذر هذه الفكرة لأبي تمام (٢٣١ هـ) فيما اختزله من مناظرة شعرية انتصر فيها للسيف على ما خطته الأقلام في فتح عمورية بقوله:

السيف أصدق إنباء من الكتب

في حده الحد بين الجد و اللعب

(ابو تمام، الديوان، ١٤)

وهذا ما و رد في السياق الشعري عند كل من ابن الرومي (٢٨٤ هـ) و المتنبي (٣٥٤ هـ) اللذين تناولا هذا الموضوع في أشعارهم .

و أما في السياق النثري فإننا نجد أن مناظرات السيف و القلم قد لقيت اهتماماً واسعاً من الكتّاب و ذكرت في طيات الكتب المتعددة و يعد ابن برد الأصغر(٤٤٠ هـ) في الأندلس أول من عقد مفاخرة بين السيف و القلم و كتبها لممدوحه الموفق ابو الجيش مجاهد العامري و نقلها لنا ابن بسام في كتابه الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (ابن بسام، ١٩٩٧،١/٥٢٢). كما نقل لنا القيرواني (٤٥٣ هـ) مفاخرة جرت بين صاحب سيف و صاحب قلم (القيرواني، ١٣١٨،١٩٥). وجاء بعده بثلاثة قرون زين الدين عمر بن الوردي (٧٤٩ هـ) ليدوّن مناظرته بين السيف و القلم و يهديها لممدوحه المقرالزيني (ابن الوردي، ٢٠٠٦، ١٥٨) و في هذه الأثناء يدون لنا ابن نباته المصري مناظرته بين السيف و القلم، وكذلك الأمر بالنسبة للقلقشندي التي أسماها (حلية الفضل و زينة الكرم في المفاخرة بين السيف و القلم) مهديا إياها للمقرالزيني ممدوح ابن الوردي و قد أدرجها في كتابه صبح الأعشي في صناعة الإنشاء (القلقشندي، ١٣١٨، ١٤-٢٦٣\٢٧٣).

جدير بالذكر أن هناك منظومات شعرية أيضا دونت و كتبت في هذا المجال مثل مناظرة القوس و البندق الشعرية لابراهيم بن صالح المهتدي الصنعاني ١١٠١هـ (المحبي، ١٩٦٨، ٣/٥٧٣-٥٨٠) و كذلك (عبد الله الحبشي،١٩٨٧، ٦١/٦٩) و بعد ذلك نلمح المناظرة النثرية التي كتبها محمد بو جندار(١٣٤٥ هـ) و كان التفاضل فيها بين العصا و السيف و لربما كانت آخر مناظرة في الأدب العربي في هذا المضمار (السولامي، ١٩٩٢،٣٦١) .

بناء علي هذا فان مناظرات السيف و القلم (أو التي يمثل القلم أحد أطرافها) النثرية أو الشعرية و المطبوعة وصلت في الأدب العربي إلى (٧) و ما جاء نثرا فهو(٦) آثار في هذا المضمار.

٤- مناظرات السيف و القلم في الفارسية

تعتبر مناظرة السيف و القلم من الأنواع الثانوية المتداولة في تاريخ المناظرات الفارسية. و تعد مناظرة تيغ و كلك (الشفرة و القلم) الشعرية في قصيدة للشاعر أمير معزي(٥٢٠ هـ) أول مناظرة في الأدب الفارسي كتبت في هذا المضمار في مدح الملك السلجوقي. و بعد مدة وجيزة من قصيدة أمير معزي، نجد أن كمال بخارايي يكتب مناظرة في هذا المضمار و على ما يبدو أن هذا النوع من المناظرات بين السيف و مشتقاته و القلم كان من الموضوعات التي حازت اهتماماً كبيراً من الكتّاب. فقد جاء في كتاب (سفينة تبريز) مناظرة شعرية كتبت سنة ٧٢١ هـ و مناظرة أخرى بين السكين و القلم لمؤلف مجهول كتبت لغياث الدين بن رشيد الدين فضل الله.كما

ألف شرف الدين وصّاف الحضرة (ت ٧٣٠ هـــ) مناظرة نثرية مستقلة في أيام حكومة ابي سعيد بهادر و خصها بمدحه (بورجوادي، منازعة السيف و القلم ،١٣٨٥). و ذكرت لنا بعض المصادر مناظرة نثرية أخري لكاتب اسمه أبو صاعد محمد بن أبي الفتوح اليعقوبي الطوسي،(يعقوبي الطوسي، ١٣٥٦) و في فترة حكومة التيموريين، نلحظ بأن مير سيد شريف الجرجاني(٧٤٠- ٨١٦ هـــ) قد أتحفنا بقصيدة شعرية خص جزءاً منها بالمناظرة بين هذين العنصرين و نشرت في مجلة ارمغان العدد (٩) كما أن لدينا رسالة نثرية أخرى ألفها جلال الدين خوافي بناها على تناظر السيف و القلم معاً.(بورجوادي ،زبان حال ،١٣٨٥، ٥١٠) أما اذا أردنا التعرف على أطول قصيدة فارسية فإن ما تركه لنا الخواجة مسعود القمي (٨٩٠ هـــ) يعتبر من أطول المناظرات الشعرية المدونة في هذا المضمار (مسعود القمي،١٣٨٠) و بعد ذلك ألف أبو البركات منير لاهوري (١٠٥٤ هـــ) رسالة نثرية قصيرة نسبياً بين السيف و القلم (أبو البركات منير لاهوري،١٣٨٢، ١٥٢).

فهناك (٩) مؤلفات شعرية و نثرية اختصت بالسيف و القلم و ما جاء منها نثرا هو (٥) مؤلفات.

يعقوبي الطوسي و مناظرته بين السيف و القلم:

١.نبذة عن المؤلف و مناظرته:

كتب المؤلف هذه المناظرة لقاض يدعى نجم الدين نامي سنة ٧٦٩هـــ .بدأ الطوسي مناظرته بحمد لله و شكره و الصلاة علي نبيه أشرف المخلوقات محمد (ص)، ثم أشار إلى أنه كتب المناظرة لممدوحه و أوضح الغرض السياسي من هذه المناظرة بقوله: «و أنا الآن كلي أمل بأن تنال هذه الرسالة الرضا من مولى الإنعام أعزالله نصره فقبلي من الناس أهل الفضل مدحوا».(السابق، ٢٩)

وهنا تبدأ حكاية المؤلف و شكواه من الزمن و حوادثه و يستغرق في أفكاره التي تسير به إلى محفل من الناس ليسألهم عن سبب اجتماعهم فيخبره أحدهم بأن مناظرة ستجري بين القلم و السيف ليتبين أيهما الأفضل و له فضل السبق في هذا الميدان.

و من هنا تبدأ حوادث المناظرة؛ فالسيف الذي يرمز لأصحاب القوة و النفوذ و الحكم يبدأ مناظرته بالإستشهاد بقوله تعالى:«و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس» (الحديد: ٢٥) و يفخر بنفسه بأن نبي الأمة حمله بيده الشريفة و قال: «أنا نبي السيف» (السابق، ص٢٩) و عندما ينتهي من حديثه يبدأ القلم بذكر محاسنه؛ فقد أقسم الله – تعالى – به في محكم التنزيل «ن و القلم و مايسطرون» (القلم ١-٢) و ذكر عنه(ص): «أول ما خلق الله تعالى القلم» (السابق، ص٣٤)، و يبدأ بذكر و تعداد محاسنه الواحدة تلو الأخرى، إلا أن السيف عندما يسمع بهذه الفضائل ينتصب ليرد عليه و يفند مزاعمه و يتهمه بالوهم و الخيال فكيف لهذا الحقير الضعيف أن يفخر بالسبق في الخلق؟ ألايكون له في تقديم خلق الله لإبليس و تأخر خلقة آدم عليه السلام عبرة؟ و يبدأ بذكر معايبه التي يتصف بها فهو أسود الوجه مرتكب للمعاصي لذلك نجده منكوس الرأس إلى أن يأتي دور القلم ليرد على السيف و ادعاءاته الصاع صاعين، فكل ما ذكره ما هو إلا وساوس شيطانية فهو موسوم بالجفاء و القسوة، ما هو إلا للدمار و سفك الدماء و يحسب نفسه للصلح و إن كان سيد الكائنات أمياً فإن هذا لا ينقص من شأن الكتابة بل إن معجزة الرسول (ص) في أنه كان أمياً و استطاع أن يحفظ الوحي و كلام الله و يطبق شريعته، و في آخر حوار

للسيف نجده يُلمّح للقلم بأن هناك من سينصفه و يأخذ له حقه كاملاً في إشارة منه إلى الممدوح، و يبدأ المؤلف بوصف خصال الممدوح و عدله و حسن تدبيره و رأيه ليأتي القلم و يرد عليه بأنه يماثل السيف في هذه الخصلة فيداه المباركتان تلمسانه و تخطان به، و بما أن إحدى صفات الممدوح أنه صاحب السيف و القلم لذا فإن الجدال و المناظرة غير لائقة بهما و من الأفضل لهما أن يتصالحا معاً و يختتم المؤلف المناظرة بأبيات شعرية نقلها عن القلم في مدح هذا الممدوح.

٢- تحليل المناظرة

٢-١- موضوع المناظرة: تتناول المناظرة موضوعاً طالما أثار حفيظة الكتاب و شغلهم كثيراً فأيهما أفضل السيف أم القلم؟ و هل للقلم مكانة عند أصحاب النفوذ و السلطة؟

تتجلى الغاية السياسية المنشودة من المناظرة في تقديم المؤلف تحفته الأدبية هذه لممدوحه و تتأكد هذه الغاية في نهاية المناظرة عندما يمدح القلم الممدوح بقصيدة مؤلفة من(١٣) بيتاً.

٢-٢- بناء المناظرة و عناصرها: إن البناء العام لهذه المناظرة هو الحكاية، حكاية المؤلف نفسه الذي قدم كلماته كتحفة لا يملك غيرها لممدوحه و شكواه من زمانه و أيامه فهذا الزمن يجزي الغافلين و يخزي العاقلين. و حكاية مناظرة السيف و القلم. تشمل:

٢-٢- ١- مقدمة المناظرة: بدأت المناظرة بالحمد و الثناء و شكر الله تعالى و الصلاة على أشرف المخلوقات محمد(ص) و جدير بالذكر هنا أن نذكر بأن هذه المقدمة التحميدية قد كتبت باللغة العربية:

«الحمدلله الذي زيّن الدنيا بمناظم حروف صحايف صفحات أولي البراعة و حسّنها بلوازم حروف صفايح ذوي الشجاعة، و ضبط حدودها شرقاً و غرباً بحد السيف و غربه، و نظم أقاليمها بملق القلم في سلمه و حربه، فقرر شمول مصالح الدين و الدولة بحدة السيف و حجة القلم، و يسر حصول مناجح الملك و الملة بالسكون و الحركة من اليراع و المجذم، و الصلاة و السلام على محمد خير الأنام و على آله و أصحابه مصابيح الظلام ما ناح عود و فاح عود».

وبعد هذه المقدمة يذكرالمؤلف الغرض من كتابة هذه المناظرة، ليبدأ السيف المناظرة و كما هي القاعدة في المناظرات فإنه يبدأ بذكر محاسنه من خلال الإستشهاد بالآيات القرآنية و الأحاديث النبوية الشريفة و الأمثال و الأقوال الشهيرة و الشعر و ما له من دور كبير في تأكيد الفكرة و تثبيتها في ذهن المخاطب و لاسيما أن الشعر هنا يصبح جزءاً متكاملاً من النص النثري فهو منه و إليه و لا يحتسب للزينة أو لتحسين جمالية النص كإحدى المحسنات البلاغية أو البديعية و البيانية.

٢-٢-٢- نهاية المناظرة: إن كانت بداية المناظرة مع السيف، فإنها تختتم بكلام القلم، و إن كنا لاحظنا هذه المساواة التي أقرها المؤلف نفسه(صاحب القلم) في بداية المناظرة، فإننا نلحظها في آخر المناظرة أيضاً إذ نجد القلم يخاطب السيف بأنه يجب عليهما أن يتصالحا و يكونا معاً في خدمة الممدوح. كما أننا لا نلمح هنا وجود أي حكم ليحكم بينهما، إنما يسود الصفاء و الصلح و الوئام بينهما ليكونا في ظل صاحب الفضل أعز الله نصره. و كأن كل منهما بحاجة إلى الآخر.

٣- شخصيات المناظرة

لدينا شخصيتان أساسيتان هما السيف و القلم و هناك العديد من الشخصيات الثانوية التي لم يكن لها هذا الدور المهم مثل الشخصيتين الرئيسيتين و هنا نلمح دور الراوي

(المؤلف) نفسه الذي يتولى رواية هذا النص و يشارك في تبيين مساره.كما أن هناك شخصية ثانوية أخرى هو ذاك الشاب الذي يتحدث معه المؤلف في ذلك المحفل، و هناك شخصية خيالية أخرى جسدها لنا الكاتب و هي هاتف الغيب و لا ننسى أن نذكر الممدوح الذي ذكر اسمه في المناظرة، إلا أنه لم يحكم أو يتفاعل أو يكن له دور فاعل في المناظرة.

٤- عنصر الحوار

نكتفي هنا بعرض أهم الحوارات في المناظرة المتعلقة بالشخصيتين الرئيسيتين فما نلحظه في هذه المناظرة هو أن الحوار بين الطرفين قد تم (٣) مرات، كما أن البادئ هو السيف، و لكن نتيجة المناظرة غير متناسبة مع أسطر الحوار فإذا نظرنا إلى حوار السيف نجده أكثر من حيث الأسطر و لكن هذا لا يعني أنه المنتصر في المناظرة و إنما نجد النهاية لصالح الممدوح الذي لابد أن يتساوى عنده السيف و القلم و ينطوي الإثنان تحت لوائه.

عدد المرات	السيف	عدد اسطر الحوار	القلم	عدد اسطرالحوار
١	٦٨ سطر		٧١ سطر	
٢	١٠٥ سطر		٨٠ سطر	
٣	١٩ سطر		٢١ سطر	
المجموع	١٩٢ سطر		١٧٢ سطر	

أما إذا أردنا أن نتعرف على كيفية الحوار بين الطرفين، فلا بد أن نذكر مثالاً نوضح فيه كيفية هذا الحوار، إذ تبدأ المناظرة مع السيف و مدحه لخصاله اللامتناهية و يكفيه فخراً منها ذكره في محكم التزيل و ما ذكره نبيّ الأمة عن فضائله، ليأتي بعد ذلك إلى الشعر و ما ذكره الشعراء عن أهميته و هذا ما نلحظه في رد القلم عليه إذ أنه يمدح نفسه و كأنه يعارضه بالعبارة ذاتها التي يبدأ بها السيف ليخلص إلى أنه يكفيه فخراً ما ذكر عنه في القرآن الكريم و ما روي في الحديث بشأنه، ثم يأتي على ذكر الشعر و ما أورده الشعراء عن فضله في هذا المضمار.

٥- الأدلة

من خلال قراءة نصوص المناظرات بشكل عام نلحظ عدة أشكال من الأدله المتمثلة في نوعين أساسيين:

١- الأدله النقلية المتمثلة في: القرآن الكريم، الحديث النبوي، أقوال المشهورين: (الأئمه(ع)، الصحابه، الأدباء، و غيرهم)، الشعر، المثل و الرأي العام (تراث حضاري ثقافي مشترك).

١- القرآن الكريم: نظراً للمكانة التي يحتلها القرآن في الفكر العربي و الإسلامي فإننا ندرك أهمية الإقتباس منه إذ أنه يمثل السلطة العليا التي لايمكن الإعتراض عليها، و لذلك فإنه من الطبيعي أن يأتي الإقتباس منه في مقدمة الأشكال التي ذكرناها فقد استشهد فيها بتسع آيات قرآنية نذكر منها:

«خلق الإنسان، علّمه البيان» (الرحمن/٣-٤)، (ص ٢٨). «و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس». ، (الحديد/ ٢٥)، (ص ٣٣). «ن و القلم و مايسطرون» (القلم /١)، (ص ٣٦).

٢- الأحاديث، كما أنه استشهد بعدة أحاديث نذكر منها على سبيل المثال: المرء في طي لسانه لا في طيلسانه (ص ٢٨)، أنا نبي السيف (ص ٣٣)، الجنة تحت ظلال السيوف (ص ٣٣)، السيف محا الذنوب (ص ٢٥)، اول ما خلق الله تعالي القلم (ص ٣٧).

٢- الأمثال: ومما ذكره من الأمثال، عادة السيف أن يستخدم القلما (ص ٣٤)، ما كل سوداء تمرة و لا كل بيضاء شحمة. (ص ٢٤).

٣- قول: نقصد هنا ما جاء من أقوال الأئمة(ع)، الصحابة، الأدباء و غيرهم من مثل: لسان الحال أنطق من لسان القال (ص ٣٥) (عبدالله بن يحيي بن خاقان)، القلم أحد اللسانين و أحد السنانين (ص ٣٧) (الإمام الغزالي)، من لانت كلمته وجبت محبته (الإمام علي(ع)).

٥- ما نلحظه في المناظرات النثرية هو هذا الإمتزاج بين النثر و الشعر، إذ جاء فيها (٩٥) بيت شعري منها (٦١) بيت شعر فارسي و البقية أشعار عربية منها أبيات أبي تمام في وصفه للسيف و القلم. كما تجدر الإشارة هنا إلى أن المناظرات اشتملت على بعض الإشارات الدينية كقصة خلق آدم عليه السلام و ابليس اللعين.

٢- الأدلة العقلية: و نقصد بها تلك الخصائص التي يتميز بها كل طرف من أطراف المناظرة و هي ذاتية تتعلق بالشيء نفسه و جزء من خصوصياته الظاهرية أو المعنوية كاللون أو الفائدة أو... و نذكر هنا ما جاء عن خصوصيات السيف: فهو مقتدر ذو جبروت، يحرس الممالك و «يطفئ جذوة الفتن بصولته و هيبته، لا يهنأ للمخالفين للحكومة عيش في حضرته و لسان حاله أفصح من لسان قاله» (السابق، ص٣٤-٣٥).

و من هنا، أكد القلم أن السيف يفخر بحيفه و عدوانه فهو محارب صعب شديد المراس موسوم بالجرأة و الجفاء، يهدر الدماء في المعارك و طبعه الأقرب إلى الجور و الظلم. و لم يكتف القلم بهذا الوصف للسيف و إنما تعدّاه إلى مسألة صرفية أخرى و هي بحث المعتل و السالم فكلمة السيف مؤلفة من ثلاثة أحرف كما هو الأمر بالنسبة للقلم إلا أن السيف معتل مريض، و المريض ليس كالسالم (القلم) أبداً.

أما فيما يتعلق بالقلم فهو ضعيف البنية نحيف البدن و لكنه قوي الفعل و الصفة، رفيع المترلة كبير الفعال و شديد البأس في تدبير شؤون الدولة و منه تصدر كل فتاوى العلماء التي تكون بمثابة دستور عمل للمسلمين و من لانت كلمته وجبت محبته.

كما أن القلم خفيف حاد ينقل أخبار الغائب و يبدل الحرب سلماً و السفاهة حلماً...

و في ردّ السيف عليه يخبره بأنه «مقلوب قلم هو ملق و الملق مذموم و لربما كانت تخيلات القلم ناشئة من ظلمات الدواة التي هو فيها كما أن شق القلم إنما دلالة على الشقاق».

خصائص أخرى

- الرمز: إن استخدام هذه الصيغة المبتكرة من الفنون(المناظرة) قد شاعت كوسيلة غير تقليدية لمدح الحكام و أصحاب النفوذ لترصد جانباً مهماً من جوانب الطرح الخفي بين المنتمين لدولتي السيف و القلم، فالقلم بما يمثله من سلطة الكتّاب و المؤلفين من جهة و السيف و ما يرمز إليه من طبقة الجنود الحاكمة التي تتولى زمام الأمور في الدولة، و جهان لعملة واحدة و كلاهما ضروريان للحكم.

- السجع: السجع هو أحد الخصائص البارزة الأخرى الملموسة في هذه المناظرة كما هو الأمر في بقية المناظرات، إذ أن الطابع العام الذي اتسمت به المناظرات هو السجع و نذكر ما قاله السيف على سبيل المثال: «منم كه حارس ممالك ام، سايس مسالكم، شعارگردانم، ذو الفقار مردانم» (السابق، ص٣٣).

- براعة الاستهلال: برزت من خلال التلازم بين السيف و القلم و قد سبق لنا أن و ضحنا هذه الفكرة في الحديث عن مقدمة المناظرة.

المفاخرة بين السيف و القلم لابن نباتة المصري

١. **نبذه عن المؤلف و مناظرته:** هذه المفاخرة رسالة ألفها ابن نباته، محمد بن محمد أبي الحسن بن صالح بن علي

بن يحيى بن طاهر بن اسماعيل بن نباتة الجذامي الفارقي المصري، أصله من ميافارقين، و ولادته في القاهرة سنة٦٨٦هـ و وفاته في المستشفي المنصوري في القاهرة سنة ٧٦٨هـ.

و هو من أسرة علم و أدب. أقام بدمشق ستة و أربعين عاماً و في أخريات أعوامه استدعاه الناصر حسن إلى مصر سنة٧٦١هـ و توفي سنة٧٦٨ و دفن بمقابر الصوفية. (انظر ترجمته في حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، جلال الدين السيوطي، ٥٧١/١ و أمير شعراء المشرق ابن نباتة المصري، عمرموسى باشا). و قد ألف ابن نباتة هذه المفاخرة بين السيف و القلم و هو في كنف الملك المؤيد اسماعيل أبي الفداء أيام كان بحماة (رغداء ماردیني، ٢٠٠٨، ص٩٨).

بدأ ابن نباتة مناظرته بمقدمة أكد على أهمية هذين العنصرين للدولة و قد استلهم مناظرته من عالم الخيال فأراد أن يعرف أيهما للحكومة أنفع: «ثم إن المملوك فكر في أيهما أتم نفعاً و أرجح صنعاً، و أخصب لسوام الآمال مرعى، و أجلب لمهمّات الممالك نجاحاً و أعذب نبعاً، و أحفظ لروض الملك إذا همّ الدهر يبغي منه تبعاً، فمثلهما المملوك في ذهنه، و استخبر خيال تخيله فكأنما خيال جفنه، و أطلقهما في سوار المحاضرة»(هلال، ١٩٨٣، ص١٢٧).

و هو قبل البدء بهذه المناظرة يقرّ بالمساواة بين السيف و القلم فـ«هما طراز حلّة الدولة، و كنار الملك المشيّد عليهما القول و العمل...» (السابق، ص١٢٧) ثم يبادر القلم القول بخطبة جرت على عادة خطب الرسائل، بالبسملة و حمد الله و الصلاة على نبيه ضمن اقتباسات من القرآن الكريم و الحديث الشريف ليبين محاسنه و يدحض حجج و محاسن الآخر فالقلم منارة الدنيا، و عون الدولة و وسيلة علمها و لا يستغني عنه لا في السلم و لا في الحرب و عند انتهاء القلم من حديثه يتوثب السيف ليرد عليه بالطريقة ذاتها فيبدأ بالبسملة و آية قرآنية ليؤكد أن الجنة تحت ظلال السيوف و الصلاة على نبي الأمة(ص) و يؤكد بأن السيف زند الحق حملته اليد النبوية الشريفة و به فتح الله الإسلام و اتخذته الملوك حرزاً لسلطانها و حصناً على أوطانها و قطانها ... (العطار، بلا تا، ص ٩-١٠). و يختتم السيف حديثه بالطريقة نفسها التي اختتم بها القلم كلامه و هنا تحتد وتيرة الحديث ليسخر القلم من السيف قائلاً«أتفاخرني و أنا للوصل و أنت للقطع. و أنا للعطاء و أنت للمنع. و أنا للصلح و أنت للضراب. و أنا للعمارة و أنت للخراب و أنا المعمر و أنت المدمر... أعلى مثلي يشق القول و يرفع الصوت و الصول و أنا ذو اللفظ المكين و الجالس عن يمين الملك و أنت عن يساره، أين بطشك من حلمي، و جهلك من علمي، و جسمك من جسمي» و من ثم يأتي بأبيات لابن الرومي في هذا المضمار.

فما كان من السيف إلا أن غضب واصفاً القلم بأبشع الصفات فهو قليل الشأن خادم له منكّس الرأس للخدمة: «أولست الذي طالما أرعش السيف للهيبة عطفك، و نكّس للخدمة رأسك و طرفك، و أمر بعض رعيته و هو السكين فقطع قفاك و شق أنفك فليت شعري كيف جسرت و عبست على مثلي، و بسرت و أنت السوقة و أنا الملك، و أنت لصون الحطام، و أنا لصون الممالك» (السابق، ص١٣).

و هنا عندما أحس القلم بمقدار ذاك الغيظ الذي ألحقه بالسيف حاول تهدئة الأوضاع ليذكر السيف بأنه معينه في تشييد الممالك و هما للملك كاليدين و لا يمكن الإستغناء عن أحدهما مما جعل السيف يقبل مقولة القلم لا سيما أنه كان البادئ بهذه المحاورة و البادئ أظلم، و يسامح السيف القلم لا سيما أنهما في حضرة سيدهما و لما له من مكانة و منزلة في إشارة منه إلى المؤيد ثم لا يلبث أن يعد محاسنه و

أفضاله ليطالبه بأن يحكم بينهما «خصمان بغي بعضهما على بعض، فاحكم بيننا بالحق و اهدنا إلى سواء الصراط» (ن. م، ص١٩ و البغدادي،١٩٦٧، ص٢٤٠).

٢- تحليل المناظرة

٢-١- موضوع المناظرة: كما هو الأمر في بقية المناظرات التي تناولت هذا الموضوع فإننا نلمح هذا التقابل بين السيف و القلم في هذه المناظرة، فالسيف و القلم ركنا الحكم و عدتا القول و العمل، و لربما كانت هذه محاولة أخرى من المحاولات التي شحذ فيها المؤلف خياله لصياغة رمزية لهذه المناظرة ليؤكد من خلالها على مكانته و مكانة أصحاب القلم و قوة وسعة علمهم و حكمتهم، و دورهم في إرساء الأمن و الطمأنينة في مواجهة القوة والبطش التي يفضلها الحكام و الأمراء والسلاطين و تعاطفا مع الكتاب الطامحين إلى مكانة تدنو من مكانة أصحاب السيف و تبنياً لموقفهم.

كما تظهر الغاية من تدوين هذه المناظرة لكسب رضا الممدوح: «إن من عادات الخدم الذين فصحت النعماء ألسنتهم أن يقدموا بين يدي ساداتهم تحف أفكارهم الحسنة و خواطرهم المتبقية لتسر العيون الحامدة بما أنشأته من الزهرة و البحور الجائدة بما ستبيّنه من وجوه هذه الدرر و الأيدي المنعمة بما غرسته الأولياء المثمرة أذهانهم بهذا الثمر» (ن. م، ص١٢٦).

٢-٢- بناء المناظرة و عناصرها: سردت هذه المناظرة في إطار الحكاية، شملت هذه الحكاية مقدمة مختصرة يبيّن فيها المؤلف غرضه من تأليف المناظرة، و ما خطر له في عالم الخيال ليتمثل هذين العنصرين الذين هما ركنان أساسيان في بناء الدولة و ثباتها و يروي لنا قصتهما بلسان حالهما.

٢-٢-١- المقدمة: مانلمحه في هذه المناظرة أن المؤلف لم يبدأها بالحمد أو الشكر و الثناء لله و إنما بدأ بمقدمة لمّح فيها إلى تساوي هذين العنصرين و أهميتهما في قوله: « فكان مماخطر للملوك بارحة أمسه، و هجر في نفسه، وعرضت عليه جياد معانيه، ذكر السيف و القلم اللذين هما طراز حلّة الدول، و ركنا الملك المشيّد، عليهما مراتب القول و العمل، فهذا للإنعام و هذا للإرغام، و هذا للإكراه و هذا للإكرام، و هذا لنصر الأعلام و هذا لنصر الإعلام» (نفسه، ص١٢٧). وعل الرغم من عدم وجود مقدمة تحميّدية إلا أن كلاً من القلم و السيف استهلا خطابتيهما الأولى في المناظرة بحمد الله و الثناء عليه.

٢-٢-٢- نهاية المناظرة: إن كان القلم هو من بدأ المناظرة فإن آخر كلام هو للسيف الذي يصفح عنه بعد أن يأتي إليه القلم ملتمساً طالباً الصفح و العفو و نرى السيف بما يمثله من قدرة يحيل الأمر لصاحب الأمر ليحكم فيما بينهما.

٣- شخصيات المناظرة: كما هو الأمر في مناظرة يعقوبي طوسي و بقية مناظرات السيف و القلم فإن الشخصيات الرئيسية المشاركة في هذه المناظرة هي السيف و القلم. يأتي دور الراوي (المؤلف ابن نباتة) في تبيين مسار الحكاية و توضيحها و روايتها كما أن شخصية الحكم (الممدوح) شخصية ثانوية أخرى نلمح دورها في آخر المناظرة، و بما أن الطرفين خرجا مسرورين بما قضى بينهما، حتى ولو حاول الكاتب ابن نباتة تفضيل القلم على السيف إلا أنهما سرعان ما يعودان للصلح و المساواة مما يدل على سيطرة القوة على الرأي (رغداء ماريني، ٢٠٠٨، ص١٠٧).

٤- الحوار: نكتفي بذاك الحوار الرئيسي المتعلق بالشخصيتين الرئيسيتين (السيف و القلم)، فالملاحظ أن الحوار تم (٣) مرات لكل منهما، كانت البداية للقلم، و لكن نتيجة المناظرة غير متناسبة مع عدد أسطر الحوار، فعدد أسطر السيف

أكثر من القلم و مع ذلك نجدهما متساويين في نهاية المطاف ليكونا معاً في خدمة الممدوح و تحت ظلال عدله و حلمه. سنوضح الحوار في الجدول التالي:

عدد المرات	القلم	عدد اسطر الحوار	السيف	عدد اسطر الحوار
١		٤١ سطر		٤٧سطر
٢		٤٠ سطر		٤٤سطر
٣		٣٢ سطر		٢٧سطر
المجموع		١١٣ سطر		١٢٨ سطر

أما عن كيفية هذا الحوار فهناك تطابق كامل بين كل من الطرفين في حوارهما إذ يبدأ القلم بالبسملة و حمد الله و الآية القرآنية التي يذكر فيها شأن القلم و الصلاة على نبي الأمة(ص) و حديث عنه، ثم عبارة أما بعد ليبدأ بعدها بوصف محاسنه و يختتم قوله باستغفار الله و التوكل عليه و الإبتعاد عن الفخر و الخيلاء في محاولة لإثبات تواضعه و مكانته، ليأتي دور السيف و يبدأ بالطريقة نفسها بالبسملة و حمد الله و الآية القرآنيه التي يذكر فيها شأن الحديد و الصلاة على نبي الأمة و ذكر حديث عنه(ص)، ثم عبارة "أما بعد" و يبدأ بعدها بمدح نفسه و وصف محاسنه، ليختتم قوله بالطريقة ذاتها التي اختتم به القلم بالإستعاذة بالله من أن يكون في كلامه ما قد عدل عن الصواب و التوكل عليه في ضرب الباطل و صرفه.

٥- الأدلة: سنعرض للأدلة النقلية و العقلية التي ذكرت في هذه المناظرة:

أ) الأدلة النقلية:

١-القرآن: إذا أخذنا بعين الإعتبار المكانة العلمية التي يتحلى بها ابن نباتة، فهو شاعر محدّث فقيه ملم بعلوم العربية، ذو ثقافة واسعة بالدين، عندئذ لن نستغرب هذه الثقافة الدينية التي تظهر بوضوح كامل في مجريات هذه المناظرة و لاسيما ما جاء به من آيات الذكر الحكيم في كلامه الذي يأتي في سياق واحد قد يختلط فيه الأمر على من لا يملك الاطلاع الكافي على الذكر الحكيم و نذكر بعضاً مما جاء به فيما يلي: «ن و القلم و ما يسطرون، ما أنت بنعمة ربك بمجنون». (القلم/١-٢) (ص ٥)، «و أنزلنا الحديد فيه بأس شديد و منافع للناس، و ليعلم الله من ينصره و رسله بالغيب إن الله قوي عزيز». (الحديد/٢٥) (ص ٨)، «أو من ينشأ في الحلية و هو في الخصام غير مبين» (الزخرف/١٨) (ص ١١)، «كان ذلك في الكتاب مسطوراً» (اسراء/ ٥٨) (ص ١٧)، «خصمان بغي بعضنا علي بعض فاحكم بيننا بالحق و لاتشطط و اهدنا إلى سواء الصراط» (ص/٢٢) (ص ١٩).

٢- أحاديث: نذكر منها هنا، (جف القلم بما هو كائن) (ص ٥)، (الجنة تحت ظلال السيوف) (ص ٨)، (الحرب خدعة) (ص ١١).

٣- أمثال: كقوله، (كالباحث عن حتفه بظلفه) (ص ١٠)، (لأمر ما جدع قصير أنفه) (ص ١٧).

٤- كلام المشهورين: (البادي أظلم) (الإمام موسي الكاظم) (ص ١٥).

ب) الأدلة العقلية: أما ما جاء في هذا الخصوص عن صفات القلم فنذكر هنا ما جاء به القلم في خطابه للسيف: «أين بطشك من حلمي، و جهلك من علمي، و جسمك من جسمي، أين عينك الزرقاء من عيني الكحيلة و رؤيتك الشنعاء من رؤيتي الجميلة، أين لون المشيب من لون الشباب»(السابق، ص ١٣)

و نجد السيف يرد عليه: «أو لست الذي طالما أرعش السيف للبيبة عضمك و نكس للخدمة رأسك و طرفك، و أنا المخدوم الأبيض و أنت الخادم الأسود؟» (نفسه، ص١٣-١٤)

و هنا نجد الرد الحاسم من القلم على السيف في ادّعاءاته: «ما أراك عبتني في الأكثر إلا بنحول جسمي

على أن أشهى الخصور أنحفها، و كذلك عيبك سواد خلقتي التي أكسبها الحب حلية صبغت حب القلوب و الحدق» (ن.م، ص١٦).

أما فيما يتعلق بالسيف و ما ورد من خصائصه فنذكر «يحسم به أهواء الفتن المضّلة فهو القوي الإستطاعة الطويل العمر و حازت أبكار الفتوح بحدة الذكر و اتخذته الملوك حرزاً لسلطانها وحصناً على أوطانها و قطانها؛ يجلس على رؤوس الأعداء قهراً» (ن.م، ص١٧). و يرد القلم عليه «أتفاخرني و أنا للوصل و أنت للقطع و أنا للعطاء و أنت للمنع و أنا للصلح و أنت للضرب ، و أنا للوصل و أنت للخراب، و أنا المعمر و أنت المدمر؟» (ن.م، ص١٨).

٦- بعض الخصائص الأخرى

١. الرمز: كما ذكرنا سابقاً فالسيف رمز لأصحاب النفوذ و القلم رمز للكتّاب الطامعين لإحراز مكانة مناسبة في المجتمع.

٢. السجع: من مثل قوله: «فلما وعى القلم خطبته الطويلة الطائلة، و بستطه الجليلة الجائلة، و فهم كنايته و تلويحه، و تعرضه بالذم و تصريحه، و تعديله بالحديث و تجريحه، استغاث باللفظ البصير، و احتد و ما أدراك ماحدة القصير، و قام دواته و قعد، و اضطرب على وجه القرطاس و ارتعد » (هلال، ١٩٨٣، ص١٣٤).

أوجه التشابه و الإختلاف بين المناظرتين

١- المؤلف و القرن: عاش كل من المؤلفين في قرن واحد هو القرن (٨) للهجرة و كتبا مناظرتيهما بلغتين مختلفتين حسب بيئتهما في هذا القرن، و على الرغم بأننا لا نملك المعلومات الكافية التي تعّرفنا بالمؤلف الفارسي(يعقوبي الطوسي) إلا أننا بإمكاننا أن نلحظ مهارته في الكتابة و التأليف و لا سيما من خلال هذه المناظرة كما أن ابن نباتة الشاعر غني عن التعريف فهو من الأدباء المشهورين و الشعراء ذوي الصيت و التأليفات في الأدب العربي.

٢- الموضوع: الموضوع هو جدال السيف و القلم، و ذاك الجدال بين أصحاب القوة و أصحاب القلم للوصول إلى ضرورة تلازم هذين العنصرين لخدمة الحكومة و الدولة و مدح السلطة القائمة لوصول أصحاب القلم إلى نفوذ السلطة السياسية و إحراز المكانة اللائقة بهم.

٣-البناء العام: إتخذ المؤلفان من الحكاية قالباً لعرض مناظرتهم فجاؤوا ببناء الحوار على أساس حكائي مع أن مناظرة الطوسي كانت تميل أكثر إلى إطار الحكاية التي تدور أحداثها في حكاية أخرى، حكايته هو مع الزمن ثم حكاية مناظرة السيف و القلم.

٤- المقدمة، البداية و النهاية: بدأت مناظرة اليعقوبي الطوسي بمقدمة عربية تحميدية حمد المؤلف فيها الله و أثنى على نعمه وشكره ثم صلى على أفضل الخلق محمد (ص) و في ثنايا هذا الحمد أكد على أهمية هذين العنصرين معاً و ضرورتهما معاً و تلازمهما في محاولة منه لتفهيم المخاطب بتساوي الإثنين معاً، الأمر الذي تم التأكيد عليه في نهاية المناظرة عندما أكد القلم للسيف بضرورة الصلح و المحبة بينهما في تثبيت تلك المحاولة بأن لأصحاب القلم مكانة إلى جانب أصحاب السيف، حتى و لو حاول هؤلاء تفضيل القلم إلا أنهم سرعان ما يعودون للصلح الأمر الذي نلمحه في مناظرة ابن نباتة أيضاً فإن كان القلم قد صال وجال في الميدان و لكنه في نهاية المطاف ليس له بد من أن يطلب الصفح و الصلح، مما يدل على سيطرة القوة على الرأي على الرغم من عدم وجود حكم في هذه المناظرة ليحكم بينهما و لكن الطرفين يتصالحان معاً و تنتهي المناظرة بأبيات شعرية في مدح الممدوح الحاكم. أما في مناظرة ابن

نباتة فإن المقدمة هي وصف للدخول في مجريات الأحداث، مقدمة تصف أهمية هذين العنصرين في يد الحاكم و تقرّ بتساويهما في مملكته و حكومته، ولكن يجب علينا أن نشير إلى أنه على الرغم من المقدمة الوصفية لهذه المناظرة و لكن كلاً من طرفي المناظرة السيف والقلم يشرعان خطابهما بحمد الله و الصلاة على نبيه كما هو الحال في مقدمة الطوسي، ثم يأتي المؤلف ليوضح سبب كتابته لهذه المناظرة في عالم الخيال كما فعل الطوسي أيضاً لتبدأ المناظرة مع القلم و تنتهي بتخفيفه لنبرة صوته و تهدئته للأوضاع لا سيما و أنه أحس بمقدار الغيظ الذي أحدثه و رأى أنه البادئ بهذه المنافسة، و البادئ أظلم ثم اقترح السيف للذهاب إلى الحكم ليقضي بينهما بالحق و نجد حكمه الذي يتجلى بصورة رمزية و ينقله لنا الراوي في صورة توضح رضا الطرفين بعدها بما حكم و تقر بتساوي الطرفين الأمر الذي كان في نهاية مناظرة الطوسي.

٥- الشخصيات: شكل القلم و السيف في هاتين المناظرتين الأطراف الرئيسية للمناظرة و كان السجال فيما بينهما محتدماً، أما الشخصيات الفرعية الأخرى فقد تنوعت في مناظرة الطوسي و لكن دور الراوي في كلتي المناظرتين لم يتجاوز رواية النص على الرغم من حضوره في كل مجريات الأحداث، أما شخصية الحكم فإننا لا نلمح لها إلا ذكراً عابراً في مناظرة الطوسي أما في مناظرة ابن نباتة فإن الراوي يشير إلى أنه قد قضى و حكم بين الطرفين ولا نلمس هذا الحكم بشكل مباشر من الحكم نفسه.

٦- الحوار: يمثل الحوار الجانب الرئيس بين الشخصيتين الرئيستين(السيف و القلم) اللتين شكلتا محور الحوار في هاتين المناظرتين. ففي المناظرتين نجد الحوار بين الطرفين على ثلاث دفعات و لكن بداية الحوار مع السيف في مناظرة الطوسي أما في مناظرة ابن نباتة فهو مع القلم.

و سنوضح عنصر الحوار في المناظرتين في هذا الجدول:

جدول ١ يبين كيفيه الحوار بين طرفي المناظرتين

المؤلف	عدد مرات الحوار	ط(١) (للمناظرة)	عدد الأسطر الكلية للطرف الأول		ط(٢) (للمناظرة)	عدد الأسطر الكلية للطرف الثاني		النتيجة
يعقوبي الطوسي	٣	السيف	٦٨	١.	القلم	٧١	١.	
			١٠٥	٢.		٨٠	٢.	
			١٩	٣.		٢١	٣.	
			١٩٢ سطر			١٧٢ سطر		عدد أسطر السيف اكثر من القلم
ابن نباتة	٣	القلم	٤١	١.	السيف	٤٧	١.	
			٤٠	٢.		٤٤	٢.	
			٣٢	٣.		٢٧	٣.	
			١١٣ سطر			١١٨ سطر		عدد أسطر السيف اكثر من القلم

جدير بالذكر بأن عدد أسطر الحوار في كلتي المناظرتين هو لصالح السيف على الرغم مما ذكرناه من تساوي عدد الدفعات في كلتيهما (٣مرات)، و لربما كان هذا إشارة إلى أن الأقوى دائماً يحاول أن يمتلك زمام الأمور و يجعلها لصالحه، إلا أننا إذا ألقينا نظرة علي نهاية المناظرة سنجد أنه ليس من الضرورة لمن يبدأ المناظرة بأن يكون المنتصر و لربما ارتبط هذا الأمر بموضوع المناظرة نفسها الذي يهدف إلى مدح الحاكم و تبيان حقيقة تلازم هذين العنصرين معاً و ضرورتهما في مملكته جنباً إلى جنب.

٧- الأدلة: من خلال ما ذكرنا في ثنايا هذه المقالة يتضح لنا استخدام كل من المؤلفين للأدلة العقلية والنقلية وسنذكرها مفصّلة و موضحة بالجدول التالي:

جدول٢ الأدلة في كلتي المناظرتين

المؤلف	الأدلة النقلية						الأدلة العقلية(من خلال نظرته هو)	الأدلة العقلية (من خلال نظرة الآخر اليه)
	قرآن	حديث	مثل	قول	شعر	حكاية		
يعقوبي الطوسي	٩	١١	٨	٧	٩٥ بيت (٣٤ عربي و٦١ فارسي)	١	السيف:القوة و الحزم القلم: العقل والحكمة.	الظلم ضعف البنية و سواد اللون.
ابن نباتة	٢٩	٥	٢	١	١٨ بيت وشطر	٢	السيف: القوة، القلم: الحلم، العلم، جمال المظهر	الظلم، الدمار والتخريب ضعف البنية ،سواد اللون.

مانلحظه هنا في هاتين المناظرتين و كما هو مشهود في بقية المناظرات هو التأثر القوي بالثقافة الإسلامية و الذي تجلى في اقتباس الأدلة من آيات الذكر الحكيم ومن ثم أحاديث سيد الخلق و الأمة(ص) بالإضافة إلى الإتكاء على الشعر(الموروث الثقافي لكل أمة) وبعض الإشارات الدينية المقتبسة من الميراث الثقافي الديني أيضاً.

كما تجدر الإشارة أيضاً أن كلاً من المؤلفين سعيا في سياق مناظرتيهما إلى الإشارة إلى بعض المباحث الصرفية و لم يكن ذلك إلا بدافع إظهار المهارة اللغوية و الكتابية و إثبات الذات كما جاء في ثنايا المناظرتين في(مبحث المعتل و السالم و المقلوب) عند الإثنين.كما أن التأكيد على بعض الأدلة مثل ذكر آية الحديد أو القلم أو حديث الرسول(ص) الجنة تحت ظلال السيوف أو الحرب خدعة، أو ذكر أبيات لأبي تمام أو ابن الرومي كانت من جملة الأدلة المشتركة بينهما.

٨- بعض الخصائص الأخرى: هذا وقد اشتركت المناظرتان في عنصر الرمز و السجع و هو ما لوحظ في كلتيهما.

نتائج البحث:

في نهاية هذا البحث سنأتي على توضيح كل ما ذكرناه سابقاً من أوجه تشابه و اختلاف من خلال هذا الجدول:

المؤلف	القرن	السنة	الموضوع	البناء العام	المقدمة	بداية المناظرة	النهاية	الشخصيات				الحوار		الاقتباسات		خصائص أخرى بارزة	
								الأساسية	الثانوية	الراوي	الحكم	عدد المرات	الأسطر(الذي تحدث أكثر)	العقلية	النقلية	الرمز	مباحث صرفية لغوية
يعقوبي الطوسي	•	¤	•	•	Θ	¤	•	•	Θ	•	¤	•	•	Θ	•	•	•
ابن نباتة	•	¤	•	•	Θ	¤	•	•	Θ	•	¤	•	•	Θ	•	•	•

Θ تشابه ٥٠% بين المناظرتين.

• تشابه ١٠٠% بين المناظرتين.

¤الإختلافات بين المناظرتين.

و من خلال إلقاء نظرة على الجدول نجد أن نسبة التشابه كبيرة للغاية و أن الإختلافات بسيطة جداً و جزئية، الأمر الذي يدفعنا للقول بأن المناظرة في هذا المضمار لم تختلف بين الأدبين و لكأننا نحن بها جزءاً من ميراث اسلامي قبل أن ننظر إليه بأنه نتاج عربي أو فارسي.

المصادر و المراجع

[١] ابن بسام، ابوالحسن علي، الذخيره في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دارالثقافة، بيروت١٩٩٧.

[٢] ابن منظور، لسان العرب، مادة نظر، دار صادر بيروت، بلا تا.

[٣] ابن الوردي، زين الدين ابو حفص، ديوان ابن الوردي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الآفاق العربية، ط١، ٢٠٠٦.

[٤] ابو تمام، الديوان، مراجعة محمد عزت نصر الله، دار الفكر، بيروت.

[٥] الأصفهاني، الراغب، محاضرات الأدباء و محاورات الشعراء، بيروت دار مكتبة الحياة،١٩٦١.

[٦] باشا، عمر موسي، ابن نباته المصري، أمير شعراء المشرق، دارالمعارف مصر، الطبعة الثانيه، ١٩٧٢م.

[٧] البغدادي عبد القادر، خزانة *الأدب وغاية الارب*، تحقيق عصام شعيتو، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٩٢هـ.ش.

[٨] بورجوادي ،نصر الله، منازعة السيف والقلم (وصاف الحضرة)،نامه فرهنكستان زبان وادبيات فارسي، طهران، ١٣٨٥ هـ.ش.

[٩] ـــــــــ، زبان حال درادب فارسي، منشورات هرمس ١٣٨٥ هـ.ش.

[١٠] تبريزي، ابو المجد، سفينة تبريز، مركز نشر دانشگاهي، طهران ١٣٨١ هـ.ش.

[١١] جرجاني، سيد شريف، "في مناظرة السيف و القلم"، مجلة ارمغان سنة١٥.

[١٢] الحبشي عبد الله، مجموع المقامات اليمنية، م.١٥، مكتبة الجيل الجديد،ط١، صنعاء ١٩٨٧م.

[١٣] داد، سيما، فرهنگ اصطلاحات ادبي، الناشر مروارید، الطبعة ٣ ،١٣٨٥ هـ.ش.

[١٤] دهخدا علي أكبر، لغتنامه دهخدا، مادة نظر، سازمان لغت‌نامه، طهران، ١٣٦٣ هـ.ش.

[١٥] السولامي محمد، فن المقامة بالمغرب في العصر العلوي، الرباط، منشورات عكاظ، ١٩٩٢م.

[١٦] السيوطي جلال الدين، حسن المحاضرة في تاريخ مصر و القاهرة، ت محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

[١٧] الصديق حسين، المناظرة في الأدب العربي الإسلامي،مكتبه لبنان الطبعة ١، ٢٠٠٠ م.

[١٨] العطار، عزت، مناظرات في الأدب، ، بلا تا.

[١٩] القلقشندي، صبح الأعشي في صناعه الإنشا، ج١٤، القاهره ١٣١٨ هـ.ش.

[٢٠] القيرواني، ابراهيم بن علي الحصري ،زهر الآداب و ثمر الألباب، بيروت،٢٠٠١م.

[٢١] لاهوري، منير، مناظرات منير لاهوري ، تصحيح محمد فريد، مجلة السفينة طبعة لاهور، العدد ١، ١٣٨٢ هـ.ش.

[٢٢] ماردیني، رغداء، المناظرات الخيالية في أدب المشرق و المغرب و الأندلس، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨م.

[٢٣] المحبي، محمد أمين بن فضل الله، نفحة الريحانة، تحقيق عبد الفتاح الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٦٨م.

[٢٤] مسعودي، قمي، «مناظرهٔ تيغ و قلم» به كوشش ايرج افشار، طهران،١٣٨٠ هـ.ش.

[٢٥] الهاشمي، أحمد، جواهرالأدب في أدبيات و إنشاء لغة العرب، دارالكتب العلمية، ج١-٢، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧ م.

[٢٦] هلال، ناجي، مناظرتان بين السيف و القلم، المورد، العدد الرابع، مج ١٢، ١٩٨٣م.

[٢٧] وهبة، مجدي، معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ١٩٧٩م.

[٢٨] يعقوبي طوسي، ابوصاعد محمد، (رسالة السيف و القلم)يادگار نامه حبيب يغمائي تصحيح ايرج افشار وآخرون طهران ١٣٥٦ هـ.ش.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

بررسی تطبیقی مناظره های شمشیر و قلم در ادبیات عربی و فارسی
(با تکیه بر مناظرهٔ شمشیر و قلم یعقوبی طوسی و ابن نباته مصری)

غلامحسین غلامحسین زاده[۱]، کبری روشنفکر[۲]، ابراهیم خدایار[۳]، نعیمه حسوکی[٤]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۹/۵/۳۰ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۹/۸/۲۲

ژانر مناظره در ادب فارسی و عربی پیشینه ای طولانی دارد، به گونه ای که شاعران و نویسندگان فارسی زبان و عرب نمونه‌های موفقی در این گونهٔ ادبی از خویشتن به یادگار گذاشته اند. در این مقاله پس از اشاره به سیر تحول مناظره در ادب فارسی و عربی، مناظره‌های منثور تخیّلی شمشیر و قلم، که هر کدام نماد گروهی از جامعهٔ خود هستند، با تکیه بر مناظرهٔ «شمشیر و قلم» از یعقوبی طوسی (مؤلّف به سال ۷٦۹ هـ.) و «المفاخره بین السیف والقلم از ابن نباته مصری» (قرن هشتم قمری) مقایسه و تحلیل، و با استفاده از جدول‌های تطبیقی، تشابهات و تفاو ت های این دو مناظره نشان داده شد. نتیجهٔ تحقیق نشان داد این نوع ادبی در زبان فارسی و عربی با تأثیرپذیری از عناصر فرهنگ اسلامی، نقش مهمی در فرهنگ و تمدن این دو ملت داشته، قالبی مهم برای بیان آرمان های دو ملت در طول تاریخ بوده است.

واژگان کلیدی: مناظرهٔ سیف و قلم، ادبیات عربی ، ادبیات فارسی، یعقوبی طوسی، ابن نباته مصری

۱. عضو هیأت علمی دانشگاه تربیت مدرس
۲. عضو هیأت علمی دانشگاه تربیت مدرس
۳. عضو هیأت علمی دانشگاه تربیت مدرس
٤. دانشجوی دکتری دانشگاه تربیت مدرس، گروه ادب فارسی